

الامامة والسياسة

[34] بدير من أديار الاهواز، يسمى بنيسابور، فناصره للقتال ستة أشهر كريته (1)، لا له ولا عليه، حتى إذا كان في جوف ليلة من الليلى، خلا الحجاج بعنبرة بن سعيد بن العاص، ويزيد بن أبي مسلم، وعلي بن منقذ مولاه، وبعبد الرحمن بن زياد مولاه، وكان يزيد بن أبي مسلم حاجبه على ما وراء بابه وأما يحيى فوكله بالقيام خلف ظهره، إذا هو نسي أو غفل نخسه بمنخسه، ثم قال: اذكر يا حجاج، فيذكر ما بدا له أن يذكر. وأما عبد الرحمن بن زياد: فكان ذا رأى ومشورة وأدب وفقه ونصيحة. أما عنبرة: فكان بعيد الهمة، طويل اللسان، بديه الجواب، فاصل الخطاب، موفق الرأي، فاستشارهم لما طال به وبعبد الرحمن القتال، لا يظفر واحد منهما بصاحبه - ومع عبد الرحمن سعيد بن جبير والشعبي، فكان هذا فقيه أهل الكوفة، وهذا فقيه أهل البصرة - في أن يبيت، فكره ذلك مواليه، وأشار عنبرة أن يبيت، فقال الحجاج: أصبت، أصابك بك الخير، وما الامر إلا النصيحة، والرأى شعوب، فمخطئ منها أو مصيب، غدا الاثنان، فصوموا ونصوم، واستعينوا بالخيرة، وبيتهم الليلة المقبلة، ليلة الثلاثاء، فسوف أترجل، ويترجل أهل مودتي ونصحتي، من ولدي وغيرهم. ففعل: وأصبح سائما، وبيتهم ليلة الثلاثاء وهو يقول: اللهم إن كان الحق لهم فلا تمتنا على الضلالة، وإن كان الحق لنا فانصرنا عليهم، فحمل عليهم والنيران توقد، فأصاب منهم، وأصيب منه، وانهزم ابن الاشعث في سواد الليل، وأصاب الحجاج عسكره، وأسر سعيد بن جبير، وأفلت عامر بن سعيد الشعبي مع ابن الاشعث، فلما أتى الحجاج بسعيد بن جبير، قال له: ويحك يا سعيد ! أما تستحي مني ؟ ومدك الشيطان في طغيانك، ألا استحييت من المراقب لي ولك، والحافظ علي وعليك ؟ فقال: أصلح الأمير، وأمتع به ! هي بلية وقعت، وعذاب نزل، والقول كما قال الأمير، وكما نسبه به وأضافه إليه، إلا أنني أتيت رجلا قد أزهى وطغى، ولبسته الفتنة، وركب الشيطان كتفيه، ونفث في صدره، وأملى على لسانه فخفته واتقيته بالذي فعلت ؟ فإن تعاقب فبذنب، وإن تعف فسجية منك، فقال له الحجاج: فإننا قد عفونا عنك، وسندك إليه تارة أخرى. ثم كتب كتابا، ووجهه مع سعيد بن جبير إلى عبد الرحمن، فلما كان سعيد ببعض الطريق، خرق الكتاب، وقدم عبد الرحمن فأخبره، فنفر عبد الرحمن، وخرج موائلا إلى أهل البصرة، وقد قدمت عليه كتبهم، يستبطنونه ويستعجلونه حتى قدم عليهم، وبلغ ذلك الحجاج فسبقه إلى البصرة فدخل الحجاج المسجد متنكبا قوسا، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وحرص الناس على قتال ابن

(1) كريته: كاملة. (*)

